

الخطر في انعزال الخليج تحت المظلة الأميركية

العربية كنت اعتقد ان دول الشعوب في المنطقة ستبقى أكثر تأثيرا على الوضع العربي من دول

□ هناك خطر حقيقي من أن تصبح السياسة الخليجية انعزالية، والسبب هو الحماية الأميركية

الثروات . وأعتقد ان محمد حسنين هيكل كان محقا أكثر مني حين كان أكثر تأكيدا على اننا دخلنا آنذاك في حقبة سعودية طويلة الامد . منذ نشر هذا الكتاب اختلفت دول الشعوب بين بعضها ، ودول الثروات اتفقت مع بعضها بمعنى انه بعد سنتين من صدور الكتاب نشأ مجلس التعاون الخليجي بالمقابل دخلت دول الشعوب في حروب وصراعات لم تنته . وهذا ما أعطى امكانيات لدول الثروات لأن تقيم حقبة سعودية لم أكن أتوقع حصولها فعلا لإيماني بأن دول الشعوب ستبقى لديها القدرة . ومن نتائج هذه الحقبة بالذات انعدام دور الجامعة العربية وإعطاء الأفضلية بالدعم من دول الثروات للمؤسسات الاسلامية على حساب المؤسسات العربية المشتركة . وكان هناك تهديد للجسم العربي بتغليب الجانب الاسلامي على الجانب القومي . ومن خلال إنشاء التجمعات المحلية كالتجمع المغربي ، والتجمع الخليجي الذي كان هدفه إنشاء هذه هذه السياسة الانعزالية الطويلة الامد .

بين العسكر والتجارة

□ من الواضح ان الخليجين يمكن ان يتجهوا الى انشاء كتل سياسي أكثر تماسكاً ، ويجري الكلام الآن عن إنشاء الاتحاد الخليجي . كيف يمكن حفظ أمن هذه الهياكل المنعزلة وسط محيط من العواصف؟ - هذا هو الحل الأفضل اي ان يقوم الخليجيون بنوع من صفقة تاريخية مع الدول العربية المحيطة بهم ، اي ان ينشأ صندوق خليجي ليس لدعم الدول العربية كلها بالتساوي وليس لدعم الدول الاسلامية او دول العالم الثالث وإنما لأسباب أمنية بحتة . هذه الصفقة تعني من جانب ، دول مجلس التعاون الخليجي ، ومن جانب آخر مصر وسوريا والعراق واليمن وربما السودان . ان نشأ أمر كهذا فسيكون بمثابة الصفقة التاريخية . الدول القوية عسكريا تتفق مع الدول القوية تجاريا بهدف التعاون بحيث لا تعتدي الدول العسكرية القوية على الدول الثرية التي تساعد على نمو اقتصاد الدول الاقوى عسكريا . لكن لسوء الحظ الخليجيون ليسوا بهذا الوارد . الاوضح هو ان هذه الأزمة ابرزت لشعوب منطقة الخليج هشاشة الحكومات

حذر الدكتور غسان سلامة من خطورة انعزال الدول الخليجية عن الدول العربية الأخرى، بعد التدخل الأميركي المباشر ، واعتبر أن الدول العربية دخلت مرحلة من الاستعمار الجديد ، تقوم على توافم مصالح الدول الصناعية الاقتصادية، ومصالح الدول العربية صاحبة الثروات، حيث تقدّم الأولى الحماية والعسكر ، وتقدّم الثانية النفط والمال . وتحدث الدكتور سلامة عن التوازنات الإقليمية والدولية ومواقع كل من تركيا وإيران في الخارطة السياسية بعد أزمة الخليج وفيما يأتي نص الحوار :

نص الحوار : حوارات - نشر في الاول - ٩٠

١٥٩٥

نظام عربي جديد؟

□ بعد أزمة الخليج كيف تنظر الى العلاقات العربية - العربية والى التضامن العربي او النظام العربي الواحد؟ - ككل أزمة في المنطقة أدت الى نوع من الانقسام بدءاً بأزمة السويس ، وحرب اليمن .. الخ ، والانقسام الحالي امر مبالغ بخطورته . ما أخشاه في المرحلة الحالية هو امر جديد لم نعتده في الأزمان السابقة وهو ما يمكن تسميته بإعادة عزل الخليج عن الجسم العربي . ان تكون سوريا ومصر والمغرب وبعض الدول الى جانب الدول الخليجية في هذه المرحلة أمر مفهوم وقد يمنع ما هو حاصل في الخليج من عدااء مستحکم لكل ما هو عربي ولل فكرة العربية وللعمل العربي المشترك ومن دعوات صريحة للانكفاء الخليجي .

في الواقع هنا تلنقى السياسة الأميركية مع سياسات دول الخليج حالياً التي هي سياسات في بعضها انعزالية كثيراً لأنها انعزالية أيديولوجية ومصالحية . أي هذه الدول تريد الاستئثار بأمورها .

انا اعتقد ان الأميركيين موجودون في الخليج لفترة غير محدودة على الاطلاق ولن تحل قوات عربية محلها ، وسيكون الحامي الأول لها الولايات المتحدة مما سيضطرها الى وجود عسكري طويل الامد . وهذا الوجود الأميركي سيفهم منه الخليجيون امكانية الانعزال المتزايد لا عن ايران والعراق فحسب ، وإنما عن الاطراف العربية الأخرى لذلك انظر بقدر من الرية الى الوعود الكثيرة التي يعطيها الخليجيون في هذه المرحلة للدول التي تساندهم لا سيما مصر التي يتوهم بعض قادتها بانهم على باب مشروع مارشال خليجي . هناك خطر كبير من أن تصبح السياسة الخليجية انعزالية. هذا هو الخطر الحقيقي على الجسم العربي اي عزل دول الخليج عن باقي الجسم العربي وحمائيتها من قبل الأميركيين .

□ هل ما يحصل حالياً في السعودية يستدعي إعادة النظر في ما كتبت سابقاً؟ - الكتاب حول السياسة الخارجية السعودية أخذ مني فترة طويلة ، وكتب في مرحلة كان يتحدث فيها البعض عن الحقبة السعودية وعن سيطرتها على جل السياسة

□ الوضع الذي تمر فيه الجامعة العربية يمكن ان يؤدي الى ولادة جامعتين وإلى زعزعة النظام العربي الثابت؟

- جامعة الدول العربية هي عبارة عن ميزانية سنوية بحوالي ٣٢ مليون دولار اي نصف ما انفقه مقامر سعودي في أحد الكازينوهات في ليلة واحدة . رغم ذلك لم تكن ميزانية الجامعة لتؤمن خلال السنوات الماضية

من قبل الاطراف العربية . لذلك يجب الانصاب بالهلع نتيجة استقالة القليبي وانقسام الجامعة . الجامعة العربية لم تكن حية فعلا لكي يشكل موتها امرا خطيرا للغاية . كان الموظفون ينتظرون احيانا ستة اشهر للحصول على مرتباتهم وكان المستوى العام منخفضا للغاية . والمكاتب في الخارج تسمى بطريقة شاقة جدا للحصول على ميزانياتها .

ما حصل مؤخرا هو أنه أطلقت على الجامعة رصاصة الرحمة مؤقتا لان الجو العربي انقسم الى قسمين . واعتقد ان سياسة الحكومة المصرية مسؤولة كثيراً عما حصل للجامعة عند حدوث أزمة كالتي حصلت حالياً من الأفضل ان تبقى الجامعة التي هي مؤسسة في غاية الهشاشة على الهامش ريثما تنتهي الأزمة إذا كان الإصرار قائما على بقائها .

الحكومة المصرية من خلال دعوتها الى تلك القمة المتسارعة جدا أو من خلال الدعوة الى انعقاد مجلس الجامعة ثم الدعوة لانعقاده مرة أخرى بهدف واحد هو تأكيد الاعلان عن ضرورة نقل الجامعة ثم الاسراع في عملية النقل والخ... بدت وكأنها غير واثقة من نفسها ومن تنفيذ قرار تونس في نيسان الماضي الذي قضى بنقل الجامعة . هذه التصرفات ساهمت في عملية انكفاء وانقسام الجامعة .

لا اعتقد ان مجموعة الثمانية هي مجموعة متضامنة حول عدم نقل المقر من تونس ، بل هي متفقة على أن الدعوة المتسارعة للاميركان

بالتدخل في منطقة الخليج كانت دعوة قابلة للنقاش على الأقل ، وإن على العالم ان يتفهم الموقف العراقي أكثر أو انه لم يكن على الحكومة المصرية ان تتسرع في عملية نقل المقر .

القائمة عليها ، كان هناك نوع من الإرتواء التام في أحضان الأميركيين . الخيار المطروح حاليا على دول الخليج هو بين استئجار القوة الأميركية لفترة قد تدوم سنوات او ، على عكس ذلك ، عقد تلك الصفقة التاريخية مع دول الشعوب المجاورة .

دور اسرائيل لأميركا

□ هناك تهدة اقليمية في الوقت الحاضر؟

– هناك تضاؤل لدور اسرائيل ، وتعاضل لدور تركيا وانفصال بين اللعبة الإيرانية واللعبة العربية. أنا اعتقد أن هذه الازمة أثبتت أن ايران تحاول استرجاع ما وظيفته في الجو العربي لمصلحتها الذاتية ، ومن المحاسن القليلة لغزو العراق أنها قسمت الحركة الاصولية في كل الأجزاء العربية أما الحسنة الأخرى فهي أن هناك عودة عن الطويق السلبية للهوية العربية بمعنى أن الإمتداد

الإيراني والامتداد الاصولي في السنوات الماضية كان قويا لدرجة أن الهوية العربية تضععت ان بسبب الاصولية الاسلامية العربية او بسبب التحركات الإيرانية على الأرض العربية .

اما الآن فإيران في مرحلة استرجاع كل ما وظيفته في المنطقة . مثلا هي في مرحلة التفاهم مع العراق على الحد الأدنى ، وإخراج الرهائن الغربيين في لبنان ، والبحث لاستفادة من هذه الازمة لتقوية النظام الداخلي وتحسين علاقاتها بالغرب وإعادة التنمية الاقتصادية . نحن أمام مرحلة انحسار الدور الإيراني من جانب وانقسام الحركات الاصولية العربية من جانب آخر.

الاستعمار الجديد

□ هل يمكن ان يتعايش الوجود الأمريكي الطويل في منطقة الخليج مع القوة العراقية اي استمرار التسليح على المستويات الحالية؟

– للعرب مصلحة في الوجود الأمريكي اكثر من تسليح حلفاء اميركا . الوجود الأمريكي شر لكن اسرائيل تبقى الشر الأكبر . لذلك اذا كان الريح الأمريكي هو على حساب اسرائيل فهذا تطور ايجابي برأيي لان عدوانية الاميركيين تجاه الشعوب العربية اخف بكثير من عدوانية اسرائيل رغم ما يخص الثروات والامور الأخرى.

السلاح هو الأكثر تأخرا بعامل الوقت والجيوش التي لا تتطور تكنولوجيا تتراجع . من هنا يأتي السؤال من يمكن له أن يساعد منطقة الشرق الاوسط على بناء القوة العسكرية للأطراف العربية ؟ منذ ثلاث او اربع سنوات دخلنا في سوق سلاح جديد تكنولوجيا

□ العرب دخلوا في مرحلة الاستعمار الجديد بدخول القوات الأميركية

وهذا السوق هو الأكثر ارتباطا بالاهتمامات التجارية للموردين من الحسابات الايديولوجية . من هنا نشأ عدد كبير من مصدري التكنولوجيا منها المانيا الغربية والارجنتين والبرازيل والصين . هناك اذن تطور واضح باتجاه انكماش العلاقات العسكرية المبنية على التحالفات ، اي تطبيق منطق السوق . اذا كان هذا الامر صحيحا فهذا يعني

ان له أثارا مالية كبيرة بمعنى انه عندما تكون العلاقة التسليحية قائمة على التحالف فهناك ميل للتساهل في مجال الدفع . وعندما تكون قائمة على أسباب تجارية بحتة فإن وجود المال هو أمر في غاية الأهمية .

ودول المنطقة ليس لديها امكانيات مالية كبيرة لذلك أنا أتوقع تدهورا في القوة العسكرية العراقية والسورية والمصرية والى حد ما ايضا الاسرائيلية .

نحن دخلنا في مرحلة من الاستعمار الجديد بحيث المتفوق عسكريا سيكون في المرحلة المقبلة هو طرف من خارج المنطقة وليس من داخلها . بينما النمو العسكري لدول المنطقة سيتضاءل وربما قدراتها ايضا ستتضاءل .

الدول الخليجية ستشتري اسلحة وتخزنها باستمرار لكي تستعمل من قبل جيوش غير الجيوش الوطنية . اعتقد ان كل السلاح الذي أتت به حاليا القوات الأميركية سيبقى وستشتريه السعودية لا سيما السلاح الأقل تطورا كالدبابات وسواها . سيكون وجود السلاح رادعا .

من الحرب الى الاستثمار

□ كيف يمكن حفظ الانعزال الخليجي المدعوم او المغطى اميركا وسط اجواء اقليمية مضطربة باستمرار هيكليا وبنينا؟

– عمليا الامر ليس سهلا لكنه ممكن بمعنى ان تاخذ هذه الدولة واحدة بواحدة ، والاميركيون يردعون الدول المعادية للانعزال الخليجي ويشتررون قبول الدول المؤيدة للخليج .

أعتقد ان القوات الأميركية مستمرة لفترة طويلة في منطقة الخليج وانها قد تستعمل ضد دول اخرى غير العراق ، اي لردع اي طرف قد يكون له رأي في سعر النفط او في توزيع الثروات .

عندما انتهت الحرب الإيرانية – العراقية بدأت مرحلة جديدة بدا خلالها ان ايران والعراق ليسا في مرحلة حرب ، وانما هناك خلاف إيراني – سعودي مستمر ، ايدولوجي وطائفي ومذهبي .. وهناك خلاف كويتي – عراقي. وكان هناك تخوف اميركي من هذا الامر . وكانت العلاقة العراقية – الإيرانية لا تزال منوترة رغم حصول وقف اطلاق النار ومساعي ديكويار . إنما في ربيع هذه السنة حصل تحول جديد . فالقوتان اللتان لم تعد تتحاربان اصبحتا ايضا تتكلمان وتتفقان على المجال النفطي. الخليجيون اضطروا لحضور قمة بغداد التي حصلت نهاية شهر ايار لأن ميزان القوى الجديد في المنطقة كان يفرض عليهم ذلك .

وهذه الدول هي في وضع خطير لانها غير قادرة على الدفاع عن نفسها ولا حتى عن رد الضغوط التي يمكن ان تمارس عليها ، لذلك كانت هذه السرعة الفائقة في الرد الاميركي لان هناك نوعا من الاستعداد عمره ٣٠ سنة لهذا الوضع الاستراتيجي . لذلك اعتقد ان الاستراتيجية الاميركية في المنطقة قادرة حاليا على الشراء او الضغط والردع لفترة طويلة من الزمن على كل طرف عربي او اقليمي يحاول ان تكون له حصة في الثروة النفطية .

أما في ما يخص باقي الجسم العربي فالنزاعات مستمرة لكن ربما بقدر متواضع من التفاؤل في ما يخص الموضوع الفلسطيني . والذين يأخذون على قيادة منظمة التحرير موقفها الحالي الذي كلفها خسائر هائلة لدى الرأي العام العالمي ، لا يفهمون مدى الازمة التي كانت فيها المنظمة . فقد كانت تواجه انخفاض حدة المواجهة في الانتفاضة، وتواجه تناميا متزايدا لحركة « حماس » في الداخل وتواجه تنازلات قدمتها منظمة التحرير وكانت تواجه انقطاعا من جانب واحد في الحوار الذي بدأت مع الولايات المتحدة اي كانت سياسة منظمة التحرير عمليا على وشك ان تحصد كل رهانها الذي بدأته في المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر. عندما وقفت الجماهير الفلسطينية الى جانب العراق عن ياسر ربما بما يخص موضوعها الأساسي كانت قيادة المنظمة مضطرة ان تمشي .

السبب الثاني هو أن الولايات المتحدة لاسباب تتعلق بالوضع العالمي الجديد مضطرة لان تسير تحت راية الامم المتحدة ولو جزئيا . ونحن نعلم بان اميركا غير قادرة على تنفيذ القرارات الستة التي صدرت عن مجلس الامن الدولي وعلى إبقاء القرارات الأخرى الصادرة عن المجلس الدولي في حالة التجديد . إن بقاء الاميركيين في منطقة الخليج سيضطر الولايات المتحدة الى مسابرة ودعم موقف الدول التي هي قائمة فيها وذلك من خلال تنازلات في الموضوع الفلسطيني .

أجرى الحوار: بشير هلال